فضاءات المعرفة

تحرير جون بول جونز الثالث

مقدمة: قراءة الجغرافيا من خلال التناقضات الثنائية

جون بول جونز الثالث

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

في هذا القسم من الدليل ، نتناول أربعة فصول في مسألة المعرفة في جغرافية الثقافة . يستكشف أولف ستروهماير تداخل المعرفة والثقافة في التقاليد الغربية ، ويفحص موضوعات رئيسية من عصر النهضة إلى الفكر ما بعد البنيوي المعاصر . يستعرض فرانسيس هارفي وجهات نظر نقدية مختلفة حول التكنولوجيا ، كل منها يقف في معارضة للرؤية التجريبية الساذجة التي تقول إن التكنولوجيا ليست أكثر من مجرد أداة ، وهي أداة خارجية للعلاقات الاجتماعية . تقدم أودري كوباياشي تحليلاً تاريخيًا لمفهوم العرق في الجغرافيا . وتزعم أن معرفتنا التخصصية عرقية ، وتقترح طرقًا لتقويض البياض السائد الذي يغرس في الفكر والممارسة الجغرافية الأنجلو أمريكية . وينتهي القسم بفصل كتبه ريتشارد هاويت وساندرا سوتشيت بيرسون . ينتقدان المعرفة التخصصية من منظور نظرية ما بعد الاستعمار، ويبينان كيف أن فهم جغرافية الثقافة للمفاهيم الأساسية مثل الطبيعة والمظاهر الطبيعية محدود بسبب التحيز الغربي لكثير من الأبحاث الجغرافية .

في هذه المقدمة للقسم ، أقدم سياقًا عامًا لهذه المقالات من خلال استكشاف تطور الفكر الجغرافي الأنجلو أمريكي كما يُرى من خلال عدسات أبرز تناقضاته الثنائية . وهذه التناقضات تغرس كلاً من **ماذا نعرف وكيف نعرف** ، ودراسة ذلك هي علم الوجود وعلم المعرفة على التوالي . ويستند مسحي إلى التحولات "النموذجية" المختلفة التي غلفت الجغرافيا على مدى القرن الماضي أو نحو ذلك . وأختتم المقدمة بمراجعة موجزة للفصول في هذا القسم .

ما هي المعرفة ؟

إن تعريف المعرفة مسعى زلق ، لأن المفهوم يتنقل ذهابًا وإيابًا بين علم الوجود ونظرية المعرفة . يشير المصطلح الأخير إلى النظريات المعنية بكيفية فهمنا أو معرفتنا للعالم . وهو يشمل الدراسة النظرية للعلم والتفسير، فضلاً عن العديد من جوانب وجهات النظر الميتانظرية المرتبطة بهذه المساعي . ومن بين تلك التي كانت مؤثرة تاريخيًا في الجغرافيا ، يمكننا الإشارة إلى التجريبية ، والإيجابية ، والواقعية النقدية ، والإنسانية ، والبنيوية ، وما بعد البنيوية . في الغرب ، يقوم فهمنا لنظرية المعرفة على - بل ويمكن للمرء أن يقول إنه متجمد حول - عدد من التناقضات الثنائية الرئيسية . وتشمل هذه : الموضوعية والذاتية ؛ والتصميم وعدم اليقين ؛ والصرامة واللعب ؛ والتفسير والوصف ؛ إن كلاً من هذه الجوانب من معرفة العالم تشكل مناهج نظرية مختلفة : فالفهم العلمي ينسب عادةً قيماً إيجابية إلى المصطلحات الأولى في الثنائيات المذكورة أعلاه ، في حين تفضل المناهج التفسيرية عادةً المصطلحات الأخيرة .

يتخذ المفكرون المختلفون مواقف مختلفة فيما يتصل بهذه المصطلحات ، بما في ذلك ليس فقط فائدتها في مساعدتنا على إجراء البحوث ، بل وأيضاً ما تعنيه ، بل وحتى إمكانية وجودها ذاتها . وعلاوة على ذلك ، فإن كيفية معرفتنا بالعالم على المستوى اليومي غير التأملي تتحدد جزئياً (بدرجة أو بأخرى من اليقين) من

خلال كيفية تعاملنا مع هذه التناقضات من خلال تجاربنا ولغتنا، وبالطبع ثقافتنا (ينظر ستروهماير، في هذا القسم) .

يشير علم الوجود إلى الدراسة النظرية لكيفية ظهور العالم . وهو منظم بشكل مماثل ، في الخيال الغربي ، على طول عدد من الثنائيات الرئيسية . لقد كانت الدراسات التي تناولت الطابع الوجودي للعالم في إطار الجغرافيا تميل إلى **التركيز على التمييزات** بين : الطبيعة والثقافة ؛ الفرد والمجتمع؛ النظام والفوضى؛ المكان والزمان؛ المكان والمجتمع؛ وعالم الأفكار والخطابات في مقابل عالم الأشياء المادية والعمليات الاجتماعية الملموسة . وحتى التمييزات التي نقيمها بين التخصصات ـ بين الجغرافيا وعلم الاجتماع (أي المكان والمجتمع) على سبيل المثال ـ مبنية على افتراضات وجودية . والحقيقة **أن المعرفة مرتبطة بكل من نظرية المعرفة وعلم الوجود** ، وهذا يعني ضمناً أن هذه المصطلحات مترابطة في حد ذاتها . على سبيل المثال، إذا افترضنا أن العالم يتألف من أشياء وأحداث منفصلة تقع في الزمان والمكان، وأن هذه الأشياء والأحداث لها خصائص وتأثيرات قابلة للقياس على غيرها ، فمن المعقول أن نتبنى نظرية معرفية علمية تعطي الأولوية للموضوعية والتفسير .

من ناحية أخرى ، إذا افترضنا أننا منغمسون في عالم من المعاني ، وأننا لا نستطيع في أفضل الأحوال وصف العالم إلا من خلال لغات محددة ثقافيًا وزمنيًا ، فإن النهج التفسيري القائم على نظرية معرفية مختلفة يبدو أكثر استعدادًا للمهمة . وبعبارات عامة ، فإن معرفتنا بما يبدو عليه العالم تشير إلى الكيفية التي ينبغي لنا أن ندرسه بها . ولكن كما سنرى أدناه ، ليس من الضروري وضع علم الوجود قبل علم المعرفة ، لأنه من الممكن تمامًا التركيز على كيفية معرفتنا واستخدام المعرفة المكتسبة لتقييم ما نعتقد أن العالم عليه .

يمكن العثور على منظور إجمالي للمنظورات النظرية المعاصرة في الجغرافيا واثنين من أزواج التناقضات الثنائية التي تدعمها في الشكل الموضح في ادناه . اخترت جانبًا واحدًا من علم المعرفة وعلم الوجود . ينقسم الأول (المعرفة) إلى نهج موضوعي وذاتي ؛ إن هذا الاقتران يضع في سياقه المنظورات النظرية الأربعة الأكثر أهمية في الجغرافيا المعاصرة ، من الافتراضات الموضوعية والمنظمة التي تبيح الجغرافيا العلمية إلى النظرة العالمية الذاتية والفوضوية لما بعد البنيوية . ومع ذلك ، فإن هذا الشكل هو ببساطة أداة استدلالية : ففي كل من النظرية والتطبيق ، تكون الأمور أكثر تعقيدًا .

	علم الوجود	
	تراتبي	فوضوي
نظرية المعرفة	علم المكان	نقد الواقع
	الانسانيات	ما بعد البنيوية

أولاً، هذه ليست التناقضات الوحيدة التي تميز المنظورات النظرية المعاصرة ؛ يمكن للمرء أن يقدم حسابات معقولة بنفس القدر للميتاثيريات المعاصرة بناءً على التناقضات المثالية / المادية والعمومية / الخصوصية .
ثانيًا، يميل كل منظور إلى الاعتماد على تعريفات مختلفة للمصطلحات الثنائية نفسها . على سبيل المثال ، تعريف الموضوعية ليس هو التعريف الوحيد الذي يمكن أن نستنتجه من هذه المقارنة . إن الواقعية النقدية والواقعية المكانية متشابهتان، ولا يشترك الواقعيون النقديون وما بعد البنيويون في فهم ما يعنيه عالم فوضوي أو غير منظم .
ثالثًا، تطور كل مصطلح في الثنائيات جنبًا إلى جنب - أو على نحو علائقي - مع معارضيه ؛ وهذا يعني أن وجهات النظر الميتافيزيقية لا يمكن فصلها بسهولة عن بعضها البعض (ديكسون وجونز، 1996). ومما يزيد

الأمور تعقيدًا هو حقيقة أن المعارضات الثنائية تخضع لإعادة التعريف - سواء عبر التخصصات أو بمرور الوقت . يمكننا ، في مجال الجغرافيا ، أن نميز بعضًا من هذه الطوارئ التاريخية من خلال فحص البيانات البرمجية الرئيسية في هذا المجال والتساؤل إلى أي مدى - وما هي إصدارات - نظرية المعرفة والوجود تسود في منعطفات نموذجية مختلفة . وفيما يلي أحد هذه التحليلات ، وإن كان مختصرًا إلى حد كبير .

علم المعرفة والأنطولوجيا في الجغرافيا الحديثة من الناحية التاريخية ، كان الجغرافيون يميلون إلى إسناد أوامرهم البرمجية حول طبيعة التخصص إلى علم الأنطولوجيا . ويرجع هذا جزئيًا إلى أن الجغرافيين ، طوال معظم تاريخ التخصص ، افترضوا ، جنبًا إلى جنب مع معظم العلماء الاجتماعيين والطبيعيين الآخرين ، أن مجالهم علم : باستثناءات قليلة ، كانوا يميلون إلى عدم التشكيك في قيمة الموضوعية ؛ لقد سعوا إلى التحديدات ؛ وكانوا يهدفون إلى شرح النظام (الأنطولوجي) المفترض للعالم بدقة من خلال تقديم روايات عامة يمكن اختبارها في أجزاء مختلفة من العالم .

خلال الفترة التي سادت فيها نظرية المعرفة العلمية التجريبية في الجغرافيا ، كانت المناقشات النموذجية والممارسات الجغرافية تميل إلى أن تكون مبنية حول التمييز الوجودي بين الطبيعة والثقافة (ومع الأخيرة ، غالبًا ما كان العرق هو السائد ؛ (ينظر كوباياشي، في هذا القسم). إن التأثيرات التأديبية لهذا الثنائي ملحوظة في الكتابات التي تميز عصر الاستكشاف العلمي في القرن التاسع عشر . كانت الأشياء الموجودة في العالم تميل إلى التصنيف في فئة أو أخرى ، مع تنظيم رسم الخرائط الميدانية وحسابات السفر وفقًا للتمييز بين الجوانب المادية للأرض وشخصية وأنشطة سكانها .

على سبيل المثال ، تم تدوين سرد جورج داوسون للظواهر الفيزيائية والبشرية في غابات شمال المحيط الهادئ خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر على صفحات منفصلة من سجل سفره (ويلمز-براون، 1997). تم تدوين ثنائية الطبيعة والثقافة بشكل أكبر، كونها سبب وجود الجغرافيا ، في شكل الحتمية البيئية ، والتي كانت مهمتها البرمجية تحديد الاستجابات الثقافية للظروف البيئية . ومن بين المؤيدين الرئيسيين للحتمية هالفورد ماكيندر (1887)، وإلسورث هنتنغتون (1924)، وجريفيث تايلور (1914)، وإيلين تشرشل سيمبل (1911) وويليام موريس ديفيس (1909، نُشر لأول مرة 1906). بالنسبة لديفيس : إن أي بيان يكون ذا جودة جغرافية إذا كان يحتوي على علاقة معقولة بين بعض العناصر غير العضوية في الأرض التي نعيش عليها ، والتي تعمل كعنصر تحكم ، وبعض عناصر وجود أو نمو أو سلوك أو توزيع سكان الأرض العضويين، والتي تعمل كاستجابة .(8: 1909)

إن تحرير الجغرافيا من القيود المنهجية التي ينطوي عليها تعريف ديفيس للجغرافيا يُعزى إلى حد كبير إلى مدرستين فكريتين : نهج المظاهر الطبيعية الثقافية الذي دعا إليه كارل ساور وغيره من الجغرافيين المرتبطين بجغرافية بيركلي ، والنهج الإقليمي ، الذي كان شائعًا في كل من الولايات المتحدة وأوروبا . ومن المهم من وجهة نظر علم الوجود ، أن أياً من هاتين المدرستين لم تتحدَّ ثنائية الطبيعة والثقافة في حد ذاتها . ومع ذلك ، فقد عقَّدا الأمور من خلال فرضها على معارضة وجودية أخرى : التمييز بين المثالية والمادية .

بالنسبة **لمدرسة بيركلي** ، كانت الثقافة موزعة على كلا الجانبين : كانت من ناحية عبارة عن بناء ذهني ، ونموذج لتفسير الحياة الاجتماعية من خلال القيم المشتركة ، والأعراف ، ووجهات النظر العالمية ، واللغات . وقد تُرِك هذا الجانب من الثقافة إلى حد كبير لعلماء الأنثروبولوجيا ، في حين ركز جغرافيو بيركلي انتباههم على الجانب الآخر من الثنائية - على المظاهر الطبيعية وغيرها من جوانب الثقافة المادية ، مثل أنواع الإسكان والممارسات الزراعية . وفي عبارة شهيرة تتضمن كل من ثنائيات الطبيعة والثقافة والمثالية والمادية ، أعلن ساور: "**الثقافة هي الوكيل، والمنطقة الطبيعية هي الوسيلة ، والمظاهر الطبيعية الثقافية هي النتيجة**" (1925: 46). قدمت المدرسة الإقليمية شرحها الخاص . في البداية ، كان للمنطقة وضع ملموس

: حيث كانت **تتفاعل الظواهر الطبيعية والثقافية ، مما يعطي تميزًا لأجزاء مختلفة من العالم ويشرع الجغرافيا كونها علمًا تكامليًا** (فينمان، 1919).

ومع ذلك ، كان من الصعب الحفاظ على يقين المنطقة كونها كائنًا وجوديًا ، واضطر المعلقون اللاحقون إلى الاعتراف بأن المنطقة لم تكن شيئًا بحد ذاتها بل كانت بنية ذهنية - جهازًا استدلاليًا لتنظيم دراسة الأماكن (هارتشورن، 1939؛ جيمس، 1952). مع هذا الاعتراف ، تم تضمين التمييز بين النهجين المثالي والمادي بشكل أكبر في التخصص . استخدم هارتشورن (1939: 193-201) المعارضة لانتقاد ساور وآخرين بسبب آرائهم القائلة بأنه لكي يكون شيء ما جغرافيًا ، يجب أن يكون مرئيًا (أي ملموسًا ماديًا). وفي مقابل هذا ، زعم هارتشورن أن الجوانب غير المادية للحياة الاجتماعية تتنوع مكانيًا ، وأن هذه أيضًا كانت جزءًا من الجغرافيا (ينظر جونز، 1995، لمناقشة). وبالتالي، وجدت ثنائية المثالية والمادية بوابة مبكرة إلى الجغرافيا- نميل غالبًا إلى افتراض أنها قضية حديثة نسبيًا - لكنها لم تحل بأي حال من الأحوال محل الطبيعة مقابل الثقافة . كان الجغرافيون الإقليميون مرتاحين لهذا التعارض ، واستخدموه لتنظيم جهودهم البحثية والعديد من الكتب المدرسية الجامعية (ينظر، على سبيل المثال، جيمس، 1942)

في العقود الثلاثة التي تلت الحرب العالمية الثانية ، خضعت الجغرافيا لما يسمى "الثورة" العلمية النظرية أو الكمية (جولد، 1979، يقدم الرواية الأكثر تسلية؛ بارنز، 1995، الأكثر تفكيرًا). وكما يشير جريجوري (1994) فإن المدرسة العلمية المكانية لم تقدم سوى القليل مما لم يكن متسقًا مع المدرسة الإقليمية التي سبقتها ، ومع ذلك يبدو أيضًا أنها كريمة بما يكفي لمنح ممارسيها الفضل في النظريات الصريحة لكل من علم الوجود ونظرية المعرفة ، والوقوف على أرضهم على المزايا النسبية للمصطلحات الثنائية التي تدعمها . من الناحية الوجودية ، حافظوا على تقسيم صارم بين المكان والزمان وبين المكان والمجتمع . على سبيل المثال ، زعم شايفر (1953) **أن الجغرافيين بحاجة إلى اكتشاف القوانين المكانية : يمكن ترك جميع القوانين الأخرى لحقول أخرى .**

إن ورقته البحثية ، التي كانت في الأساس هجوماً على كتاب هارتشورن "طبيعة الجغرافيا" (1939)، يمكن تفسيرها أيضاً كونها محاولة لإدراج الثنائية الوجودية بين النظام والفوضى في الجغرافيا ؛ والتركيز على القوانين يفضح ولاءاته . وعلى المستوى المعرفي ، كانت ورقته البحثية فريدة من نوعها ، فإلى جانب افتراض وجود عالم منظم خاضع للقوانين ، يمكننا أن نقرأ دعوة إلى التحديد بدلاً من عدم التحديد والعمومية بدلاً من الخصوصية . ورغم أن هارتشورن تفاوض على هذه التقسيمات في الطبيعة ، إلا أنه فعل ذلك بتردد ، دون أن يكون لديه ثقة في إمكانية إيجاد القوانين . وفي رأيه ، كانت الأمور ببساطة أكثر فوضوية من ذلك ، نتيجة لتفاعلات الظواهر في السياقات الإقليمية .

طرح نيستوين (1963)، في ورقة بحثية وجودية ما تزال غير مقدرة قيمتها ، عدة بدائيات جغرافية : المسافة ، والاتجاه ، والاتصال كانت الأكثر أهمية . إن المثال التجريبي الذي قدمه نيستوين ، والذي يتلخص في التخطيط المكاني للطلاب الذين يستمعون إلى معلم في مسجد ، يشكل دراسة حالة في الفصل بين المكان والعلاقات الاجتماعية . ومع ذلك ، فقد قدم نيستوين تعليقاً موجزاً على الزمن (الذي يمثل "إرثاً متراكماً من الماضي" ما يزال له آثاره ، ويبشر باستعارة ماسي الجيولوجية عام 1984).

ولكن على نحو أكثر شيوعاً ، كان مفهوم الزمان والمكان في الجغرافيا العلمية يميل إلى أن يُتصور من خلال "شرائح" في مصفوفة البيانات الجغرافية (بيري، 1964)، وهو تصور وجودي للعالم يرتكز على التقسيم الصارم بين المكان والزمان والخصائص المنهجية . وقد عززت كل هذه النظريات اليقين المعرفي : فقد اتسم النموذج بإيمان لا جدال فيه إلى حد كبير بالموضوعية ، والبحث عن العموميات ، والاكتشاف الحاسم

والدقيق للعمليات السببية المنظمة ، والنهج الواقعي في التمثيل . ولم يتراجع التعارض بين الطبيعة والثقافة في الأفق ، ولكنه كان أقل وزناً في ظل العلوم المكانية ، لأن كليهما يمكن دراستهما بالمنهجية نفسها .

ولم يكن الأمر كذلك حتى ظهور الجغرافيا السلوكية ـ أحد فروع العلوم المكانية (جوليدج وآخرون، 1972) ـ حيث بدأ أولئك الذين يعملون ضمن هذا الإطار النموذجي في النظر بشكل مباشر في التعارض بين الفرد والمجتمع . لقد قدم رايت (1947) ولوينثال (1961) أول التحديات الجادة لنظرية المعرفة العلمية . وقد أدى ظهور الجغرافيا الإنسانية لاحقًا - والتي لم يرفض معظم ممارسيها تسمية "جغرافيي الثقافة" - إلى تعميق مثل هذا التأمل . لقد شككوا صراحة في هيمنة الطرق العلمية للمعرفة ، واستبدلوا مكانها اهتمامًا هرمينيوطيقيًا بالفهم والتفسير . خلال سبعينيات القرن العشرين ، حقق الجغرافيون الإنسانيون تقدمًا كبيرًا في علم الوجود ، ونشروا مفاهيم مثل "الوجود" (على طريقة هايدغر)، وعالم الحياة ، والمدفأة والكون ، والأصالة ، والقصدية ، والشعور بالمكان (بوتيمر، 1976؛ رالف، 1970؛ توان، 1975؛ 1976؛ ينظر إنتريكين، 1976، لمراجعة مقنعة وبيكلز، 1985، للتقييم النقدي).

ومع ذلك ، استمر الكثير من كتابات هذه الفترة في الالتزام بالثنائية المثالية-المادية . ولعل المساهمة الأكثر ديمومة التي قدمها الإنسانيون هي المدى الذي زعزعوا به استقرار التزام المجال التقليدي بنظرية المعرفة الموضوعية . لقد أدى صعود المناهج الماركسية ـ في الوقت نفسه تقريبًا الذي ظهرت فيه الانتقادات الإنسانية ـ إلى زعزعة كل من المراسي الوجودية والمعرفية للعلوم المكانية . فقد شهدت الجغرافيا لأول مرة نقدًا موسعًا للثنائية الموضوعية والذاتية التي كانت قد ضمنت في السابق الأساس لنظرية المعرفة العلمية .

لقد أعادت الحجة الماركسية القائلة بأن كل المعرفة اجتماعية ، وبالتالي سياسية ، رسم الأسس التي تم على أساسها تصور الموضوعية والذاتية ، ولكنها لم تتخلص من المعارضة (ينظر، على سبيل المثال، هارفي، في هذا القسم). فقد ظلت الموضوعية هي الأهم ، وخاصة عند مقارنتها بما كان يُنظَر إليه على أنه صيغ ذاتية مفرطة في الجغرافيا الإنسانية . والآن أصبح يُنظَر إلى الموضوعية كونها موقفًا ممارسًا ـ ومحققًا ـ وهو موقف يعتمد على التطبيق المناسب للمادية الجدلية . كما قدمت الماركسية علم الوجود العلائقي الذي **حول التركيز من العلاقات الخارجية إلى العلاقات الداخلية** (كوكس، 1981). ومن خلال الديالكتيك تمكن الجغرافيون من وضع نظريات حول المجتمع والفضاء كونهما متصلين بشكل معقد في علاقة متكررة لا تنفصل (سوجا، 1980؛ 1989).

وأدى إضافة **البعد الزمني** (هارفي، 1984) إلى ظهور نوع من "الثلاثية" الاجتماعية والمكانية والتاريخية - والتي تضمنت ، مع ماركس ، صراحةً ، نهجًا ديالكتيكيًا للطبيعة والثقافة (سميث، 1984). ومع ذلك ، في الجغرافيا كما في المجالات الأخرى ، تعرض الماركسيون للانتقاد لإهمالهم لثنائية أخرى : الفرد مقابل الاجتماعي . وقد شكل هذا التمييز الأساس لمعظم التقييمات النقدية للاختلافات بين الجغرافيا الإنسانية والجغرافيا الماركسية (جريجوري، 1981)، حيث اتُهمت المجموعة الأولى بالتطوعية بينما وُصمت المجموعة الثانية باتهامات البنيوية (دنكان ولي، 1982؛ ولكن انظر بيت، 1998). وقد تم إجراء إعادة تصور مؤثرة للثنائية في الثمانينيات تحت عنوان نظرية البنيوية (جيدنز، 1979؛ 1986). وقد قدم كل من جريجوري (1981)، وثريفت (1983)، وبريد (1984) روايات جدلية للفرد والمجتمع ، وفي الوقت نفسه دمجوا صراحةً الزمان والمكان والفكر معًا في صياغاتهم .

لقد شهدت الجغرافيا في العقد الماضي (1990) جدلاً وجوديًا ومعرفيًا كبيرًا . وهناك بعض الحركات التي تستحق الذكر بشكل خاص . فبمجرد أن استقر الغبار على نظرية البنيوية ، تحول معظم الباحثين في الاقتصاد السياسي في الجغرافيا بتعاطف - وإن لم يكن دائمًا بشكل صريح - إلى الواقعية النقدية (ساير،

1992). وهذا المنظور مهم لأنه يوفر شيئًا من أرضية وسطى بين نظرية المعرفة والوجود . يدرك الواقعيون الدائرة التأويلية ، لكنهم يصرون مع ذلك على وجود عالم موضوعي من العلاقات الاجتماعية المكانية التي يمكن فهمها من خلال استجواب المعرفة العملية للفاعلين بالآليات والهياكل السببية . إن المفهوم الواقعي للطوارئ (جونز وهانهام، 1995)، الذي يصف انحراف آليات البنية عن طريق العلاقات المضمنة في السياقات المحلية ، يمثل أيضًا محاولة للتغلب على ثنائية الفوضوية والمنظمة . وقد قدم ساير (1991) تفاوضًا مقنعًا بشكل خاص حول الثنائية العامة مقابل الثنائية الخاصة التي حيرت الجغرافيين الإقليميين والعلميين على حد سواء منذ الخمسينيات ، واستمرت في الخلط مع التناقضات المحلية والعالمية والتقدمية والرجعية (ينظر ماسي، 1991).

وجدنا حركة نظرية بارزة ثانية في النسوية ، وهنا يمكننا أن نشير إلى تأثير كتاب جيليان روز "النسوية والجغرافيا" (1993). إن تحليلها المعرفي للبحث الجغرافي في القرن العشرين يحدد ذكورية شاملة ، وهي حالة يكون فيها الباحث "العلمي" العليم بكل شيء ، المنفصل ، الذي يحدد نفسه بأنه عالم ، منفصلاً عن "موضوعاته" . كما تقارن روز بين أنطولوجيا الجغرافيا الحديثة للانفصال وأنطولوجيا مجال العلاقات الاجتماعية المكانية الذي تم تشكيله على أساس العلاقات - والمتجاور بشكل متناقض . وفي عملية إعادة التفكير في المنهجية في ضوء مثل هذه الانتقادات ، أعادت الجغرافيات النسوية أيضًا رسم المفاهيم التخصصية للاختلاف ، والمنهجية ، والتمثيل (ينظر المقالات في جونز وآخرون، 1997).

وأخيرا ، شهدت تسعينيات القرن العشرين صعود التأثيرات ما بعد البنيوية في الجغرافيا . وفوق كل شيء ، فُسِّرَت ما بعد البنيوية كونها نقدًا معرفيًا ، حيث زعم أنصارها أن الفئات الوجودية المقدسة سابقًا تفتقر إلى المكانة التأسيسية (ديكسون وجونز، 1998؛ دول، 1999). وكان "الخارج التكويني" لدريدا (1988) مؤثرًا في هذا الصدد . فهو يقترح نظرية معادية للتأسيس لبناء المفاهيم ترفض الإيجابية البنيوية الأساسية لتأسيس المناهج الفلسفية لله والإنسان والذات (دريدا، 1970) . وبدلاً من ذلك ، لا يمكن تحقيق المعرفة إلا من خلال عملية إقصائية ونافية ، وهي العملية التي تترك "أثرًا" (هدميًا) للآخر داخل الحدود المنقوشة لفئات المعرفة . وقد استُخدمت هذه الصيغة لزعزعة استقرار مفاهيم الموضوع الثابت ، واستبدال الهوية الأساسية بفئة مبنية اجتماعيًا تحددها البيئة الخارجية التكوينية – المادة الخام لتشكيل الهوية (لاكلو وموفي، 1985؛ ناتر وجونز، 1997).

كما استخدم الجغرافيون المنهج الأثري الذي تبناه فوكو (1970؛ 1972) لكشف الكيفية التي تنتج بها مجموعات القوة / المعرفة وتملأ وتحافظ على فئات ، مثل الطبيعة (ويلمز-براون، 1997؛ ينظر أيضًا فيلو، 1992). وعادة ما يعمل كلا النوعين من التحليل على إذابة اليقينيات الوجودية : **فالنقطة لم تعد ما نعرفه ، بل كيف توصلنا إلى معرفة ما نعرفه في المقام الأول** . إن مثل هذا العمل من الأفضل أن يتم من منظور تاريخي وثقافي متقاطع ، وهو المنظور الذي يعترف بأن كيفية وصفنا للعالم مقيدة باللغات المرتبطة بالمكان والزمان والتي نملكها (ينظر هاويت وسوشيت ، في هذا القسم). بالإضافة إلى الطبيعة والثقافة والهوية ، شكك الجغرافيون ما بعد البنيويون أيضًا في مفهوم المقياس ، والذي ، بدلاً من النظر إليه كونه فئة وجودية مستمدة من مكانية أساسية (على غرار نيستوين، 1963)، يمكن فهمه كونه خطابًا ونظيرًا مكانيًا للمعارضة المعرفية العامة والخاصة (جونز، 1998).

ولم يفلت مفهوم الثقافة من عملية التطهير الشاملة التي خضع لها الخطاب : إذ يزعم ميتشل (1995) أننا ينبغي لأن ننتبه ليس إلى سمات الثقافة – التي يجد أنها تصورت بطريقة فوضوية – بل إلى العمل الذي تم إنجازه باسمها . ويقدم جيبسون-جراهام (1996) حججاً موازية لصالح الرأسمالية وغيرها من المجازات

المرتبطة بالاقتصاد . وتشمل المفاهيم الرئيسية الأخرى الخاضعة للتفكيك التمثيل (دويتشه، 1991؛ هارلي، 1989؛ جونز وناتر، 1999) والفضاء / المكان (هوبر، 2001). وأخيراً ، كانت هناك محاولات قليلة لنظرية الوجود المكاني ما بعد البنيوي (ماسي، 1994؛ روز، 1993؛ سوجا، 1996).

إن أكثر الحسابات تطرفاً حتى الآن تظهر في كتاب "الجغرافيات ما بعد البنيوية" لدويل (1999). فهو يرفض الديالكتيك من الناحية المنهجية لصالح التفكيك ، ورغم أنه يزعم اللاأدرية الوجودية ، فإنه يدعم أيضاً المكانية المطوية والجذمورية والتدفقية التي طرحها دولوز وجواتاري (1987) ـ أو ما يسميه "الجغرافيا المبعثرة" . و**باختصار** ، فإن إنتاج المعرفة في الجغرافيا ذاتها اعتمد على نشر تاريخي طارئ لعدد قليل من التناقضات الثنائية الرئيسية . وبمرور الوقت ، أفسح افتراض وجود عالم منظم المجال لافتراض الفوضى ـ حتى داخل الجغرافيا الطبيعية ـ (فيليبس، 1999) . فالطبيعة والثقافة ، مفهومان ـ أو حقائق الحياة ، حسب وجهة نظرك ـ كانا يحددان ذات يوم المعايير التي تمارس الجغرافيا وتنظم في إطارها ؛ وبعد فترة من الإهمال النسبي ، أصبحت هذه المعارضة الآن واحدة من أكثر مجالات التأمل النظري كثافة في هذا المجال (ينظر براون وكاستري، 1998؛ كاستري وبراون، 2001).

لقد عادت مشكلة دمج الفرد والمجتمع (أو بنية الوكالة) ، التي تم تجاهلها لفترة طويلة ثم تم حلها على ما يبدو من خلال نظرية البناء خلال الثمانينيات ، إلى الظهور مع محو الذات في ظل هجوم ما بعد البنيوية على الهوية ، ومع وصول المناهج التحليلية النفسية (ناست، 2000؛ بايل، 1996). وعلى الرغم من أن معظم الجغرافيين ما زالوا يميلون إلى العمل مع تقسيم وجودي بين الفضاء والمكان (إنتريكين، 1991) - وهو إرث من الفصل بين المناهج العلمية والإنسانية - فإن تحليل هوبر (2001) يشير إلى أن هذا أيضًا قد يكون تقسيمًا معرفيًا . وأخيرا ، ما تزال الجغرافيا ، إلى جانب معظم التخصصات الأخرى ، مسكونة بالانقسام بين الخطابي و"العالم الحقيقي" (ينظر بيت، 1998). وقد خلق هذا الفرع من المعارضة بين المثالية والمادية حاجزا كبيرا بين جغرافيي الثقافة والاقتصاديين ، على الرغم من المحاولات العديدة للتكامل (على سبيل المثال، هارفي، 1996؛ ينظر بارنز، مقدمة القسم 2 في هذا المجلد، لمناقشة هذا الأمر).

مساهمات هذا القسم

يقدم هذا القسم استكشافًا لمساحات المعرفة ، من المساحات التي يتم إدراكها من خلال المعرفة إلى تلك التي تنتجها المعرفة ، ولكن مع التركيز على الانخراط النقدي في التطورات الإبستيمولوجية في النظرية الغربية . ويقدم أولف ستروهماير مثل هذا الحساب . ويتطرق فصله إلى بعض النقاط التي تناولتها أعلاه ، ولكن مع نطاق تاريخي أوسع واهتمام أقل بالجغرافية من اهتمامه بالعلوم الإنسانية بشكل عام . ويبدأ فصله بتحديد علاقة إشكالية بين المعرفة وأغراضها . ويحدد دائرية معقدة ، من خلال التقليد الغربي ، بسبب الاعتراف بأن المعرفة تُبنى من خلال الخبرة ، والخطاب ، والممارسات الاجتماعية (بما في ذلك تلك الخاصة بالعلم). ولا يمكن أن تؤسس المعرفة على يقين الهوية . وهذه التعقيدات تقوض النموذج التقليدي للمحاكاة التمثيلية ، ومع ذلك فإن ستروهماير متردد في التخلي عن القيمة التحليلية للمعرفة . ويقترح بدلاً من ذلك شكلاً من أشكال المعرفة الثقافية السياقية والواقعية ـ وبالتالي المكانية في نهاية المطاف . كما شعر المحررون بأن الوقت قد حان لتقديم مساهمة في مجال التكنولوجيا . وكان من الواضح أن هذه المنطقة ، مثل الإنترنت ونظم المعلومات الجغرافية ، سوف تستمر في النمو في الأهمية .

في مساهمته ، زعم فرانسيس هارفي نيابة عن موقف اجتماعي وسياسي تام فيما يتصل بالتكنولوجيا : فهو يتخذ كنقطة انطلاق وجهة النظر الساذجة القائلة بأن التكنولوجيا ليست أكثر من أداة ، وأنها محايدة في

حد ذاتها . في نقده لهذه النظرة ، يستعرض وجهات نظر نظرية مختلفة حول التكنولوجيا ، من الماركسية عبر مدرسة فرانكفورت إلى دراسات ما بعد البنيوية والدراسات العلمية . ثم يستعرض بعض الأعمال الجغرافية الأكثر أهمية حول رسم الخرائط ، والتكنولوجيا والاتصالات ، ونظم المعلومات الجغرافية ، والإنترنت . من الواضح أن التكنولوجيا هي مجال يبني نظرية المعرفة والوجود- ومثال هارفي للمصباح الكهربائي كونه العلاقة الثنائية الجوهرية بين الإنسان والآلة ليس سوى مثال واحد - ويجب أن تكون مجالًا غنيًا للجغرافيات الثقافية النقدية للمستقبل .

كما سعينا إلى كتابة فصل عن العلاقات بين إنتاج المعرفة و"العرق" - وهو مجال آخر من الاهتمام المتزايد من جانب جغرافيي الثقافة النقديين . يحدد المسح التاريخي لأودري كوباياشي ثلاث مراحل من التفكير العنصري في هذا التخصص . وقد نشرت الفترة المبكرة العرق صراحةً كونه ربما البعد الأكثر وضوحًا في ثنائية الطبيعة والثقافة (ينظر أعلاه). وتوضح كيف كان للجغرافيا ، منذ كانط وحتى الحتميين البيئيين في أوائل القرن العشرين ، هوس بالتفكير العنصري . وتتسم الفترة الثانية بنوع من الإهمال الحميد للعرق والعنصرية ؛ حتى عندما تم النظر إليها ، كما في الجغرافيا الماركسية المبكرة على سبيل المثال ، كونها مكملة لعمليات اجتماعية أخرى . أما المرحلة الثالثة والأخيرة ، ما بعد البنيوية ، فتولي اهتمامًا مهملًا منذ فترة طويلة لبناء الاختلاف باسم الفئات العنصرية ، ولكنها ، مثل بقية الجغرافيا ، تعاني من البياض الذي ما يزال يتسرب إلى كل من البحث الجغرافي والمؤسسات التأديبية . وتختتم كوباياشي ببعض التوجيهات النظرية والعملية للجغرافيا الناشطة والمناهضة للعنصرية .

وأخيرًا ، سعينا إلى إبطال الانشغالات الغربية بالجغرافية من خلال تضمين فصل عن التحديات التي تواجه المعرفة الجغرافية التي تأتي من وجهات نظر غير غربية وما بعد الاستعمار . ويقدم ريتشارد هاويت وساندرا سوتشيت-بيرسون مثل هذا الفصل باستخدام **استعارة قاعة المرايا** ، وهي حالة لا يرى فيها العلماء الأوروبيون المركزيون - المحاصرون في أطر وجودية ومعرفية محدودة- سوى انعكاساتهم الخاصة . ويقدمان نقدًا مفصلاً لهذه التحيزات ، موضحين كيف تعمل قاعة المرايا على تهميش المعرفة الأصلية غير الغربية وإضفاء طابع غريب عليها . ويمتد نقدهما إلى النظر في الأساليب البديلة لنظرية المكان والزمان ؛ وكتابة المظاهر الطبيعية الثقافية ؛ ونشر مفاهيم الطبيعة والثقافة ؛ وتصور الهوية . وقد تم تطوير كل من هذه الأفكار من خلال أمثلة غير غربية . ويختتمون بالدعوة إلى أخلاقيات الانفتاح على الأنطولوجيات البديلة **- استبدال قاعة المرايا بمجموعة من النوافذ التي تقدم وجهات نظر جديدة .**